محمد أنور السادات

كان له فى مضامير الكفاح.. جهاد ! .

.. انتصف الليل أو كاد، وأوشكت زبالة المصباح أن تنطفئ، وهو لما يزل مكبا على محاولة استيعاب دروسه محاولا بدأبٍ أن يطرد طائر الكرى الذى كان يحلق بجناحه عليه ملتفا حوله يمعن نظره فيما تلقاه فى مدرسته ـ من دروس ـ محاولا أن يستوعب ما جاء فيها ويمعن فكره فيما حواها، وحل ما قد استغلق عليه من فحواها.

.. ولد محمد أنور السادات فى قرية صغيرة تدعى "ميت أبو الكوم" مثلها مثل قريتى التى ولدت فيها منية المرشد،يسبر أهلها أصول الأخلاق وتعاليم الآداب والحفاظ على التقاليد الموروثة يعض كل منهم عليها بنواجذه، فتنتقل من فرد إلى فرد، ومن جماعة إلى جماعة، فهى مقدسة لديهم عزيزة عليهم لا يفرطون فيها قيد أنملة.

.. فقد كانت القرية فى ذلك العهد ـ وربما لا تزال ـ بمثابة المعلم الأول للإنسان الذى ولد على أرضها أو ترعرع بين جنباتها أو شب بين ظهرانيها.

.. شب عن الطوق فأبصر الجنود الإنجليز، وهم يجوسون خلال ثرى القرية يمتشقون سلاحهم ويسيرون على أرضها فى استعلاء وكبرياء !.

.. سأل جدته: من هؤلاء الغرباء ؟.

.. أجابته: ياولدى، هم الإنجليز الذين وطئوا بلادنا واستولوا على خيراتنا، واقتحموا ديارنا عنوة واقتدارا.. وكان من قبلهم فيالق كثيرة من المحتلين من مماليك وعثمانيين وفرنسيين استباحوا حرمة البلاد وتحكموا فى العباد حتى ناءوا على مصر بكلكلها.

.. وكان السادات يرهف أذنيه إلى أحاديث وحواديت جدته حول زهران بطل دنشواى الذى تجسدت فيه روح المقاومة التى تمثل الشعب المصرى ضد كل ضغوط القهر والطغيان. فنال "زهران" اهتمامه واعجابه.

.. يقول السادات فى كتابه (البحث عن الذات):

.. كان والدى أول من حصل على الشهادة الابتدائية فى قريتنا، وعلى الرغم أن بقريتنا الآن مهندسين وأطباء وأساتذة جامعات فإنه عندما يأتى ذكر " الأفندى"، وأولاد الأفندى يعرف كل إنسان أنه والدى وأبناؤه، ويبدو أن جدتى أرادت لى أن أسير فى نفس الطريق الذى سار فيه والدى فأدخلتنى كتاب القرية حيث تعلمت الكتابة والقراءة وحفظت القرآن، ثم نقلتنى إلى مدرسة الأقباط بطوخ حيث يوجد دير قديم مشهور، مطرانه هو نفس مطران دير وادى النطرون.

.. وقد عبر السادات بنفسه عن هذا لصحيفة الأهرام فى ١٩٧٥/١٢/٢٦م.

.. نشأ أنور السادات ونال القسط الأول من التعليم فى قريته، صابرًا مثابرًا على تفهم دروسه بعقل واعٍ.. وفهم لما يكتبه اليراع.

.. وعن طفولته فى القرية والتى كان السادات يعشق كل شىء فيها يقول:

القصص التى كانت تحكيها لى أمى أحيانا وجدتى أحيانا أخرى كل ليلة،كنت فى كل مرة أستمتع بها وكأنها جديدة وكأننى لم أسمعها من قبل مع أنها هى هى نفس القصص لم تتغير، وكانت إحدى هذه القصص تروى كيف دس الإنجليز السم لمصطفى كامل حتى لا يكمل كفاحه ضدهم،لم أكن أعرف فى ذلك الوقت من هو مصطفى كامل، وأنه مات فعلا فى ريعان شبابه، ولكنى عرفت لأول مرة أن ثمة قومًا اسمهم الإنجليز، وأنهم ليسوا منا،وأنهم أشرار لأنهم يضعون السم للناس بإيعاز من الوسواس الخناس، وكانت جدتى تحكى لنا أيضا موال "أدهم الشرقاوى" وبطولاته وكفاحه ودهائه فى محاربة الإنجليز والسلطة التى تمالئهم فى جبروتهم.

.. ثم يتذكر انتقاله إلى القاهرة، حيث بدأت مرحلة جديدة فى حياته فيقول: جئت إلى القاهرة فى سنة ١٩٢٥م فى أعقاب مقتل السردار الإنجليزى سيرلى ستاك فى سنة ١٩٢٤م، فقد كان من أهم العقوبات التى وقعتها إنجلترا على مصر أن يعود الجيش المصرى من السودان، فعاد وعاد معه والدى، كنا نسكن فى بيت صغير بكوبرى القبة وكان علىَّ أن أكمل تعليمى العام الذى بدأته بمدرسة طوخ، فاختار لى والدى مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية، لأنها كانت مدرسة أهلية ومصاريفها تناسب دخله، وبالفعل أخذت أوراقى وذهبت إلى المدرسة

لألتحق بها،عندئذ فقط ومن واقع الأوراق التى تقدمت بها عرفت أنى ولدت فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٨م.

ولد الرئيس السادات فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٨م بقرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية.

تلقى تعليمه الأول فى كتاب القرية على يد الشيخ عبد الحميد عيسى، ثم انتقل إلى مدرسة الأقباط الابتدائية بطوخ دلكا وحصل منها على الشهادة الابتدائية.

.. وفى عام ١٩٣٥م التحق بالمدرسة الحربية لاستكمال دراساته العليا.

.. وفى عام ١٩٣٨م تخرج فى الكلية الحربية ضابطا برتبة ملازم ثان. وتم تعيينه فى مدينة منقباد جنوب مصر.

.. كانت دور الخيالة العشق الأول للرئيس السادات أكثر من السياسة فى هذه السن الباكرة من حياته، لدرجة أنه حاول أكثر من مرة التقدم للعمل كممثل،ولكنه فشل،ويقول عن علاقته بالسينما: أول مرة دخلت فيها السينما فى حياتى، كان ذلك يومًا عصيبًا، فقد شاهدت قطار سكة حديد قادما من أقصى الشاشة ومندفعا بسرعة مذهلة نحوى، ماذا أفعل؟ أغمضت عينى ورجعت بجسدى إلى الوراء، ولكن صوت القطار مازال يدوى فى أذنى، ففيم الانتظار ؟ قمت لتوى من مقعدى،وبسرعة رحت أخترق الصفوف مهرولا فى طلب النجاة، ولفت نظرى أن الناس كلها قابعة فى مقاعدها وكأن شيئا لم يحدث، هذا

شأنهم قلت فى نفسى، ولكن بمجرد أن بلغت نهاية الصف ـ وعيناى قد تسمرتا على الشاشة ـ لم أجد القطار،ووجدت بدلًا منه رجلًا وامرأة يتناولان الطعام فى مقهى صغير فاخترقت الصف مرة أخرى وعدت إلى مقعدى،أراقب أحداث الفيلم فى هدوء كما يفعل الآخرون.

.. أثرت حكايات جدته فى تكوينه النفسى والسياسى أكثر من أمه التى لا يذكر عنها إلا القليل، فيقول: ربطتنى حكايات جدتى بزهران بطل دنشواى وأصبح وجدانى مرتبطا بمصطفى كامل وأدهم الشرقاوى، فكلهم من وجهة نظرى رجل واحد، أو هكذا بدوا لى فى تحديهم للإنجليزى البرابرة المعتدين الذين شنقوا وجلدوا أهلنا فى قرية دنشواى المتاخمة لقريتنا، ولكن عندما جئت إلى القاهرة رأيت فى بيتنا صورة كمال أتاتورك، وسألت عنه أبى فقال إنه رجل عظيم، وكان أتاتورك فى ذلك الوقت مثلا أعلى يتردد اسمه على كل لسان، وكان والدى شديد الإعجاب به،كما كان معجبا بنابليون الذى حدثنى عنه طويلا، وكان مصطفى كمال أتاتورك، "الذئب الأغبر" كما أطلق عليه "أرمسترونج" آنذاك قد بلغ شأوا عظيما فى شد قبضته على الدولة التركية بعد أن حررها من الدخلاء،مما أثار إعجاب الأدباء مثل أستاذنا العقاد الذى اعتبر أتاتورك أعظم من نابليون، وقال فيه شوقى قصيدة عصماء بدأها بقوله :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

.. وقد تأثر السادات بعدة شخصيات منها الزعيم الهندى المهاتما غاندى، وعنه يذكر هذه الحادثة: أذكر أنه فى سنة ١٩٣٢م مر غاندى بمصر فى طريقه إلى إنجلترا، وامتلأت الصحف والمجلات المصرية بأخباره وتاريخه وكفاحه فأخذت به واستولت صورته على وجدانى فما كان منى إلا أن قلدته، فخلعت ملابسى وغطيت نصفى الأسفل بإزار وصنعت منه مغزلاً، واعتكفت فوق سطح بيتنا بالقاهرة عدة أيام إلى أن تمكن والدى من إقناعى بالعدول عما أنا فيه، فلن يفيدنى ما أفعله أو يفيد مصر فى شىء بل على العكس كان من المؤكد أن يصيبنى بمرض صدرى، إذ كان الجو ـ آنذاك، قارص البرودة، وعندما زحف هتلر من ميونخ إلى برلين ليخلص بلاده من آثار هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى ويعيد بناءها، كنت فى ذلك الوقت أقضى الصيف فى القرية، فجمعت أقرانى وقلت لهم إننا يجب أن نفعل كما فعل هتلر، وإننى أنوى الزحف على القاهرة من ميت أبو الكوم، وكان عمرى فى ذلك الوقت ١٢ سنة فضحكوا منى وانصرفوا عنى، ويفسر هذه السلوكيات بأنها كانت فى أغلبها "إرهاصات تلقائية بخط كفاح لم أكن بعد قد تبينته، ولكن من بين هذه الإرهاصات التى كانت فى الحقيقة مجموعة انفعالاته وتفاعلات مع الأحداث".

.. ويرى السادات أن أحداث حياته تسير جنبًا إلى جنب مع أحداث التاريخ، فيكمل : انتهيت من إتمام دراستى الثانوية سنة ١٩٣٦م وفى السنة نفسها كان النحاس باشا قد أبرم مع بريطانيا معاهدة ١٩٣٦م،

وبمقتضى هذه المعاهدة سمح للجيش المصرى بأن يتسع، وهكذا أصبح فى الإمكان أن ألتحق بالكلية الحربية، قبل ذلك كان الجيش المصرى ضيق الرقعة ضئيل الفاعلية، وكان دخول الكلية الحربية قاصرًا على أبناء الطبقة العليا.

.. وكانت رغبتى جامحة فى دخول الكلية الحربية ولم يكن التحاقى بها سهلًا أو ميسورًا، مع أنهم سمحوا لأبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة بدخول الكلية،بيد أنه كان يجب أن يتوافر شرطان لالتحاقى بهذه الكلية: الأول دخل الأب وثروته، ثم الواسطة، وفى كشف الهيئة كان ينادى رسميًا علينا "فلان ابن فلان وواسطة فلان".

.. وبالنسبة للشرط الأول كان والدى موظفًا بالحكومة، فهو على الأقل عنده دخل ثابت، أما الواسطة فمن أين لى بها ووالدى مجرد باشكاتب بالقسم الطبى لا يعرف أحدًا من البهوات أو البشوات؟

.. صعوبات جمة تقف أمامى كعقبة كؤود ، ولكن لعل أبرزها أن الإنجليز الذين كان هدفى تخليص البلاد منهم، هم الذين ساعدونى على الالتحاق بالكلية، ولم يجد والدى أحدًا يلجأ إليه إلا حكيمباشى الجيش المصرى الذى كان والدى يعمل معه، وهو إنجليزى اسمه الدكتور فيتس باتريك، واستجاب الرجل وكتب التزكية وأوصى بى كبير المعلمين بالكلية، وهو عضو لجنة القبول وكان إنجليزيًا مثله، وهكذا قُبلت بالكلية الحربية وكان ترتيبى آخر المقبولين، وعددهم اثنان وخمسون، وذلك لأن واسطتى كانت أقل الوسطات شأنا، فقد كانت

الوسطات تتدرج من الأمير محمد على ولى العهد إلى البشوات والبكوات من ذوى النفوذ، ولكن بعد أن قبلت وذهبت لأدفع المصاريف حدثت مفاجأة لم تكن فى الحسبان، فقد كان حمدى باشا سيف النصر وزير الحربية مع النحاس باشا فى مونتريه لعقد معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية التى كانت تعفى الأجانب من الخضوع للقانون المصرى، أرسل برقية لحجز ستة أماكن لبعض أقربائه، فاضطرت إدارة الكلية إلى حذف أسماء الست الأواخر وكنت أنا طبعًا أول المستبعدين، فالتحقت بكلية الحقوق ثم كلية التجارة، ثم عاد سيف النصر وألحق أقاربه بالكلية، وبعدها تدخل حكيمباشى الجيش، وكبير المعلمين الإنجليز، وأخيرا وبعد أن فقدت الأمل تماما، فوجئت ذات صباح بوالدى يطلب منى أن أتوجه فورا إلى مقر عمله، لأخذ منه مصاريف الكلية الحربية حيث إننى قبلت بها. وكان قد مضى على دخول أقرانى فى الدفعة ستة وعشرون يوما كاملة.

.. ثم ينتقل إلى رصد دوره فى إنشاء تنظيم الضباط الأحرار داخل الجيش، فيقول :

قام أول تنظيم سرى من الضباط وكان ذلك فى سنة ١٩٣٩م، كان ضمن أعضائه عبد المنعم عبد الرءوف؛ وكان يعتبر الرجل الثانى بعدى، وعبد اللطيف بغدادى، وحسن إبراهيم، وخالد محيى الدين وأحمد سعودى حسين؛ الله يرحمه، وحسن عزت، والمشير أحمد إسماعيل الذى كان يحضر اجتماعاتنا دون مشاركة سياسية، فقد

كان، يرحمه الله، رجلاً عسكريا كرس حياته لعلمه وتخصصه، لم ألجأ إلى الخلايا السرية للدفع بهذه الثورة المسلحة لبلوغ أهدافها كما فعل عبد الناصر بعد عودته من السودان فى ديسمبر ١٩٤٢م، وتسلمه التنظيم فى أوائل سنة ١٩٤٣م بعد اعتقالى فى صيف ١٩٤٢م، ففى تلك السنة كان خط هتلر قد بدأ فى الانكسار بعد أن كانت جحافل الألمان بقيادة قائدهم العبقرى "رومل" تدق أبواب الإسكندرية بعد أن وصل بجيوشه إلى العلمين، ومن ثم استعاد الإنجليز قوتهم فى مصر، فكان على عبد الناصر أن يخطط للمستقبل.

.. وحول علاقته بالإخوان المسلمين التى امتدت بعد ذلك بعدما أصبح رئيسا لمصر يقول: تصادف وجود بعض الإخوان المسلمين بين جنودى ففوجئت (يوم مولد النبى) سنة ١٩٤٠م بأحدهم يهمس فى أذنى بأن بالباب رجلًا ممتازًا فى الدين يريد أن يقول كلمتين للجنود بمناسبة المولد، وكنت ضابط النوبة فى تلك الليلة سألت من يكون، ولما عرفت أنه الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين رحبت به من خلال فهمه للدين وعمق شرحه له،إذ كان الرجل مؤهلًا للزعامة الدينية، وهذا إلى جانب أنه كان مصريا صميما بكل ما تحمله هذه الكلمة من دماثة خلق وسماحة وبساطة فى معاملة الناس.

.. ويواصل السادات رؤيته لأحوال مصر فى ذلك الوقت فيقول:

كان الشعور العام ضد الإنجليز يزداد سخطا يوما بعد يوم إلى أن أتى الصيف وحطم "روميل" الجيش الثامن البريطانى، ووصل إلى العلمين

وهى تبتعد ٧٠ كم عن الإسكندرية، وهنا كشف المصريون عن شماتتهم فى الإنجليز فخرجت المظاهرات تنادى "إلى الأمام يا روميل"، فقد كانت الجماهير ترى أن هزيمة الإنجليز الطريق الوحيد لخلاص البلاد منهم.

.. كانت مصر وبعد أن أصابتها المحن وألمت بها الإحن وهبطت عليها كارثة غير مسبوقة فى تاريخ الحروب بعد أن التهمتها إسرائيل خلال ٦ ساعات فقط من بدء حرب ١٩٦٧م، وبعد أن صدرت الأوامر من القيادة العليا للضباط والجنود بالانسحاب وتعرضوا لذلة ومهانة غير مسبوقتين فى تاريخ مصر.

.. هذا ناهيك عن هؤلاء الشهداء الأبرار الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل وطنهم، وأخذوا على حين غرة أخذا وبيلا.

.. فضلا عن هؤلاء المغاوير الذين دفنوا وهم أحياء واغتيلوا وهم على قيد الحياة وذبحوا وهم يرون بأعينهم طريقة ذبحهم .

.. نقلت مجلة "الشرق الاوسط" عن باحث "إسرائيلى" قوله إن هناك مذابح بشعة جرت خلال حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧م وأوضح "إرييه يتسحاقى" الأستاذ فى جامعة بار إيلان فى تل أبيب أن القوات "الإسرائيلية" أجهزت على ما يقرب من ٩٠٠ جندى مصرى بعد استسلامهم خلال هذه الحرب. وأكد فى حديث للإذاعة أن "أكبر مذبحة جرت فى منطقة العريش بشبه جزيرة سيناء حيث أجهزت وحدة خاصة على حوالى ٣٠٠ جندى مصرى وفلسطينى من قوات جيش

تحرير فلسطين". وكان (يتسحاقى) قد أدلى بهذه الأقوال بعد أيام من طلب مصر من "إسرائيل" التحقق من تقارير ذكرت أن قواتها قتلت عشرات الأسرى فى حرب عام ١٩٥٦م. وقال "يتسحاقى" لراديو "إسرائيل" "مثل هذه الأشياء تحدث فى كل حرب". وقال يتسحاقى إنه أجرى بحثًا بعد الحرب فى موضوع قتل الأسرى لكن قادته الأعلى لم يعيروا نتائج البحث أى اهتمام فيما وصفه بأنه "مؤامرة صمت". وقال "يتسحاقى " إنه قرر الكشف عن هذه المعلومات لأن الاهتمام تركز على قتل ٤٩ أسيرًا مصريًا فى حرب عام ١٩٥٦م. وقال: "الأمر الذى يغضبنى هو أن الجميع صنعوا قضية من هذه الحالة بينما هم يعلمون أن هناك حالات عديدة مماثلة لها". وذكر من بين ما ذكر أن "إسرائيل" لم توقع الاتفاقات الدولية ضد جرائم الحرب القابلة للتقادم؟

.. وفى ٢٠ / ٩ / ٩٥ نقلت صحيفة "الأهرام" مشاهدات لبعثة استكشافية أرسلتها إلى صحراء سيناء أكدت العثور على مقبرتين جماعيتين يروى شهود عيان أنهما تضمان رفات أسرى حرب مصريين عزل قتلوا برصاص جنود "إسرائيليين" فى حرب عام ١٩٦٧م. وجاء فى تقرير البعثة أن أفرادها عثروا على بقايا عظام بشرية فى مقبرتين حفرتا فى قاعدة جوية وواد صحراوى قرب مدينة العريش الساحلية على مسافة نحو ٣٠٠ كيلومتر شمال شرق القاهرة. وأفاد عبد السلام موسى وهو رقيب أول سابق فى إحدى قواعد الدفاع الجوى على مسافة خمسة كيلومترات من العريش والذى قام بدور الدليل للبعثة؛ أنه كان

بين مجموعة من الأسرى المصريين شاهدوا "الإسرائيليين" وهم يقتلون أسرى مصريين آخرين بالرصاص فى ٧/حزيران ١٩٦٧م. وقال: "رأيت طابورًا من الأسرى بينهم مدنيون وعسكريون. أطلقوا عليهم الرصاص دفعة واحدة. وبعد موتهم أمرونا بدفنهم فى رمال الصحراء". وفى وادى الميدان على بعد ٢٧ كيلومترًا من العريش كشف البدو للبعثة موقعًا أكدوا أن "الإسرائيليين" قتلوا فيه ٣٠ أسير حرب مصريًا عزل من السلاح. وقال أحد البدو ويدعى الشيخ سليمان مغنم سلامة: "جاءت حافلات محملة بجنود ووقفت إحداها ونزل منها نحو ٣٠ جنديًّا مصريًا وفتح اليهود عليهم الرشاشات على أمتار من طريق الأسفلت فى وادى الميدان". وأضاف إنه بعد رحيل "الإسرائيليين" تولى البدو دفن الأسرى المصريين". وأوضحت الصحيفة أن عمليات الحفر فى الموقع أسفرت عن اكتشاف بقايا عظام بشرية وجماجم تحلل معظمها بفعل العوامل الطبيعية. وروى سكان محليون للبعثة واقعتين قتل فيهما جنود "إسرائيليون" جنودا مصريين بعد استسلامهم.

.. على نفس الصعيد أجرت صحيفة الجمهورية القاهرية فى ١٩٩٥/١٠/١٢م تحقيقا من سيناء حول جرائم قتل "إسرائيل" للأسرى المصريين سواء كانوا عسكريين أم مدنيين فى حربى ١٩٥٦م و ١٩٦٧م تضمن شهادات شهود عيان وجاء فى التحقيق: وقد تجاوزت هذه الجرائم وفقا لشهادة شهود العيان ما فعله النازيون مع اليهود ويتحدى الشهود الموجودون أى محاولات للإنكار من جانب "إسرائيل" إذ إن

الوقائع نشرت بالأسماء والأماكن والتواريخ. ونقلت عمن يدعى " الحاج حسن حسين المالح " (٦٥ سنة).. بحكم مسكنه المجاور لمنطقة النخيل بالقرب من منصب الوادى حيث شاطئ البحر بمنطقة أبو صقل قوله إن الجنود "الإسرائيليين" كانوا يجمعون الأسرى المصريين بهذه المنطقة بعربات النقل ويوهمونهم بأنهم سينقلونهم فى حافلات للتوجه إلى منطقة القناة.. ويأمرونهم بالوقوف صفوفا ووجوههم متجهة إلى البحر ثم يطلقون عليهم الرصاص ويتركونهم قتلى ويغادرون المكان.. وتتوالى نفس العملية فى عدة أفواج من الأسرى الذين بلغ عددهم التقريبى ٣٠٠٠ أسير.. وأكد أن ذلك قد حدث فى منتصف شهر أغسطس ١٩٦٧م. وأضاف إن هذه الجثث ظلت على سطح الأرض أكثر من عشرة أيام تغذت عليها الطيور الجارحة والتهمتها الضباع والذئاب وقد تمكن بعدها أهالى المنطقة من دفن بقاياها فى هذه المنطقة. وقد عمدت "إسرائيل" إلى إخفاء تلك الوقائع والجرائم وضللت الصحافة العالمية.. ويقول قائل : إنه كان يوجد شيخ كبير من العريش يبلغ من العمر زهاء الثمانين عاما وحينما كان فى طريقه إلى المسجد ليؤدى الصلاة أطلقوا عليه الرصاص أمام باب المسجد دون أن يقترف أى ذنب وكان يسير خلف هذا الشيخ بائع متجول يبيع الحلوى للأطفال لم يتركوه أيضا وأطلقوا عليه الرصاص. وقال إنهم كانوا يطرقون أبواب المنازل ويطلقون الأعيرة النارية على المواطنين المدنيين وأسرهم ولا يتركونهم إلا بعد تأكدهم أنهم فارقوا الحياة.

.. وشاهد أمام منطقة الوادى أن جنود الاحتلال كانوا يأمرون الأسرى بحفر قبورهم بأيديهم والانبطاح على الأرض ثم تسير الدبابات فوقهم حتى تسوى جثثهم بالأرض. وأكد أنه كان يوجد ضابط مصرى اسمه "أحمد" جاء إلى مسجد السلام " بأبى صقل " ورفع إشارة بيضاء للاستسلام ليكون فى عداد الأسرى، وبرغم ذلك أطلقوا عليه ست طلقات رصاص فأردوه قتيلا.. وأبصر ذلك شيخ المسجد "الشيخ عبد القادر عثمان" إذ وقعت هذه الجريمة أمام المسجد الذى يعمل فيه إماما.. ويشهد معظم أبناء أبى صقل على هذه الواقعة.. كما كان يوجد شيخ اسمه "سليم إبراهيم" إمام مسجد الحدود أطلقوا عليه النار أيضا. كذلك شاهد الحاج حسين المالح كلا من عبيد الأزعر وإبراهيم القصلى اللذين كانا يحملان الطعام على الجمل للجنود المصريين المختفين عن أعين جنود الاحتلال.. فما كان من الجنود "الإسرائيليين" إلا أن قتلوهما بالرصاص. ويضيف إن جنود الاحتلال تربصوا لبعض الجنود المصريين فى أثناء عودتهم من ساحل البحر الأحمر على بعد مائة كيلومتر من العريش وقاموا بعمل كمين لهم وتمكنوا من جمعهم ثم قتلوهم جميعا وهم يجلسون على الأرض القرفصاء رافعين أيديهم إلى أعلى. وقال إن الذى قام بهذا العمل الإجرامى مجندة "إسرائيلية" طويلة القامة وإنه برغم مرور هذه المدة الطويلة فإنه لا يزال يتذكر ملامحها جيدا ومستعدا استعدادا كاملا للتعرف إليها فى أى وقت. يعلن "الحاج المالح " السابق ذكره إصراره وتحديه لأى مسؤول "إسرائيلى" يشكك فيما يقول وقد شاهد

"الإسرائيليين" فى مطار العريش حينما جمعوا المدنيين من المنازل إلى المطار وأطلقوا عليهم النيران داخل المخابئ والخنادق الموجودة تحت الأرض. كما شاهد عقب سنوات من الاحتلال عربات الصليب الأحمر التى جمعت ما يمكن جمعه من أشلاء وجثث الأسرى. ويقول كاتب التحقيق الصحفى إن الحاج حسن حسين المالح قد قادنى إلى مواقع الدفن حيث تم الحفر واستخراج بعض الجثث والجماجم والعظام لأسرى مقتولين بأيدى الجنود "الإسرائيليين". وأضاف الشيخ المالح قائلا: "إنه رأى أعدادا كبيرة من الأسرى المدنيين والعسكريين وهم منبطحون أمام المنازل وعلى المرتفعات وكانوا يطلبون منهم رفع الأيدى والاتجاه إلى الشمس بحجة تصويرهم ثم يطلقون عليهم النيران من الخلف. وأشار إلى وجود أكثر من مقبرة جماعية فى هذه المنطقة وسط أشجار النخيل وإحدى هذه المقابر فى أحد المنازل الجديدة والمهجورة. ويؤكد أن كل منطقة بها بقع من الزيت هى مقبرة جماعية بها أكثر من قتيل بسبب تحلل الجثث وإختلاط الدهون الآدمية بالرمال. وأضاف إنه فى عام ١٩٧٣م كنا نقدم العون والغذاء والعلاج "للإسرائيليين" العائدين بعد فشلهم فى حرب أكتوبر وعاملناهم معاملة إنسانية. وفى رفح.. قال الحاج محمد جمعة الجرابعة إنه يوجد عدد من المدافن الجماعية للأسرى بمنطقة معسكر البرازيل التى تقع على الحدود الدولية لمصر. وفى جرادة بمنطقة أبو عجيرم "بعد السكاسكة" كانت قوات الاحتلال تطلق النيران على الجنود العزل من السلاح برغم فانلاتهم البيضاء لاعتبارهم أسرى.

ويؤكد الشيخ سلامة عرادة أن منطقة الخروبة قد امتلأت بالأسرى الذين قتلوا أمام أعينهم. ويؤكد الحاج إسماعيل خطابى صاحب أراضى منطقة الصخرة التى توجد على تل الشيخ زويد أن هناك أعدادا كبيرة من جثث الأسرى تقترب من ألفى أسير.. وأنه شاهد طائرة "إسرائيلية" هليوكبتر وهى تهبط حيث جمعت الأسرى وقتلتهم بالنيران ثم أقلعت على الفور. ويقول الحاج صالح أبو هولى بمدينة الشيخ زويد.. إن "الإسرائيليين" هجموا على معسكر الجنود المصريين بالمنطقة المجاورة لأرضه وأمروهم بالانبطاح على الأرض وقامت الدبابات بالمرور فوقهم !!. ويؤكد "مصطفى حسن محيصن أبو منيع" أنه لا يخلو متر واحد فى سيناء من دم أسير مصرى. ويقول "محمد سعيد على صالح" ٤٨ سنة إنه رآهم وهم يجمعون الجنود المصريين العزل من داخل العريش عند مصنع البلح بالوادى وسط أشجار الزيتون حيث قتلوهم وكان عددهم التقريبى من ٧٠٠ إلى ٨٠٠. وفى "الشيخ زويد" جمعوا جنود قسم الشرطة "سلاح الحدود" العزل وعددهم يربو على المائة وتوجهوا بهم إلى خلف فندق السلام وأطلقوا عليهم النار. وفى إطار الجرائم العسكرية يكشف " د.إسرائيل شاحاك" النقاب عن أن آلاف الجنود المصريين الذين وجدوا أنفسهم خلف خطوط الحركة العسكرية "الإسرائيلية" فى حرب ١٩٦٧م تقدموا بكل حسن نية إلى الجنود "الإسرائيليين" متوقعين أن يعاملوا كأسرى فكان هؤلاء يكتفون بأن يشيروا لهم إلى الطريق المؤدية نحو قناة السويس أو مدينة العريش! كأنهم يقومون بعمل إنسانى!

بينما هم فى الواقع يتركونهم نهبا للحر والعطش والجوع. والجنود المصريون الذين أسروا تمت إبادتهم بالقتل المباشر على يد اليهود غير المتدينين. وبالقتل غير المباشر على يد اليهود المتدينين الذين تحايلوا على نصوص الشريعة اليهودية بعدم جواز قتل غير اليهودى إن لم يكن محاربا. فى حرب ١٩٦٧م كان القادة العسكريون الصهاينة يستقلون طائرات الهليكوبتر لاصطياد الجنود المصريين فى الصحراء وهم بدون سلاح أو مؤن. ويقول صحفى "إسرائيلى" إن عسكريا "إسرائيليا" أخبره أنه أطلق سراح أسيرين مصريين ثم أخرج مسدسه وقتلهما من الخلف. ويقول الصحفى بأن ضغوطا مورست عليه كى لا يكتب هذه الواقعة وغيرها. وهو كتبها ليس بهدف الإثارة ليتم تشكيل لجنة تحقيق! إنما لكى يكف الزعماء والقادة "عن ادعاء الورع والحديث عن طهارة السلاح". المدنيون والأسرى الذين قتلوا عمدا فى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧م يتوزعون على مناطق: عريف الجمال على طريق العريش ٥٠ أسيرا، قرية الميدان التى تبعد ٢٣ كيلو مترا غرب العريش ٧٠ أسيرا، وزقبة ومشرة وبئر الجشديرات ١٠٠،وسما ٤٠٠، والمشبه ٣٠، الختمية ١٠٠٠ عسكرى ومدنى، شرقى قناة السويس ٤٠٠، ممر اجدى ٩٠٠،المراشدة و"همسة" فى جنوب العريش ١٢٠،ومطار تمادة ومنطقة الرنا ٤٠. وعندما قررت الحكومة المصرية رفع شكوى قضائية بحق العسكريين "الإسرائيليين" الذين ارتبكوا هذه المجازر فى صحراء سيناء إبان حربى ١٩٥٦م و١٩٦٧م مستندة إلى اعترافاتهم وإلى وقائع

وشهود آخرين كان رد اسحق رابين: "إن تهمة القتل سقطت بالتقادم حسب القانون "الإسرائيلى"!".

.. ويردف السادات قائلا :

.. لم يكن هناك أى شك فى أن روميل سوف يواصل سيره فى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة، المسألة فقط مسألة وقت، ووقت قصير جدا وكان مقررا أن تكون من نصيب إيطاليا، وأن موسولينى قد جلب بالفعل حصانا أبيض ليدخل القاهرة على ظهره كما كانت العادة أيام الإمبراطورية الرومانية، اجتمعت مع إخوانى فى تنظيم الضباط الأحرار وقلت لابد من عمل شيء فكيف نترك " رومل" يغزو مصر بدون أية مقاومة ؟ اتفقنا على أن نرسل أحدنا إلى "رومل "فى العلمين ليقول : إننا مصريون شرفاء وإن لنا تنظيمنا داخل الجيش، ونحن مثلكم ضد الإنجليز وعلى استعداد لكى نجند من بيتنا فرقا كاملة تحارب إلى جانبكم، وأن نزودكم بصور جميع خطوط ومواقع القوات البريطانية بمصر، وفوق هذا كله فنحن نتكفل بأن لا يخرج عسكرى إنجليزى واحد من القاهرة، كل هذا مقابل أن تنال مصر استقلالها التام فلا تكون من نصيب إيطاليا أو تحكمها ألمانيا، وأن لا يتدخل أحد فى شئونها الداخلية أو الخارجية بأى حال من الأحوال، كانت هذه شروط المعاهدة التى أمليتها، وحملها المرحوم الطيار أحمد سعودى على طائرة هرب بها من القاهرة إلى العلمين، وأنا عندى ٢٢ سنة بعد أن عرضتها على إخوانى وحازت قبولهم، ولم يكن عبد الناصر معنا، فقد كان فى السودان كما سبق أن أوردت.

.. وتعزيزا لحركة المقاومة وضمانا لتنفيذ بنود مشروع المعاهدة اهتديت إلى سوق الزجاج حيث اشتريت عشرة آلاف زجاجة أعددناها على هيئة "كوكتيل مولوتوف"، ثم قام بغدادى وحسن إبراهيم مع سعودى وحسن عزت بتصوير المواقع البريطانية بالطائرة ووضعنا الأفلام ومشروع المعاهدة فى حقيبة وعهدنا إلى سعودى بتوصيلها إلى روميل فى العملين، كان"حسن إبراهيم" يقود طائرة فأعطاها لسعودى الذى طلع بها كأنه فى دورية عادية ثم اتجه بها إلى العلمين، كانت طائرة من طراز بريطانى طبعا تسمى " جلادياتور "، ولذلك فرغم إشارة الصداقة أطلق الألمان نيرانهم عليها فوق العلمين فانفجرت "بسعودى" وما فيها، وعندما اكتشف فقدان الطائرة قدم حسن إبراهيم للمحاكمة وتأخرت أقدميته، ولكنهم لم يتمكنوا من الكشف عما وراء الحادث من تنظيم. فى ذلك الوقت كنت أعمل بسلاح الإشارة فى الجبل الأصفر بالقرب من القاهرة، وكنت أنتظر إشارة من سعودى أو من الألمان ولكن طال الانتظار فبدأت أقلق، فى هذه الأثناء حدثت مفاجأة لم أكن أتوقعها فقد أتى إلى زميلى حسن عزت ليقول إن ضابطين من الجيش الألمانى يريدان الاتصال بى للتعاون ففرحت وقلت : هذه نجدة من السماء.

.. وفى رمضان ١٩٤٢م عندما ألقوا القبض علىَّ مقابل جهودى للتخلص من الاستعمار الإنجليزى سرت إلى سجن الأجانب وطوال الطريق، كان يرتفع أمام عينى " لطيف زهران " وهو يسير رافع الرأس سعيدا بما فعل لا يخشى الموت الذى سيلقاه، بعد قليل.

.. وعن سنوات سجنه فى كل سجون مصر التى دار بها السادات والتى شكلت فترة هامة من كفاحه يقول : إلى متى سنظل فى المعتقل ونحن فى نهاية سنة ١٩٤٤م والحرب قد اتضحت نتائجها ؟ لابد من عمل شيء،حرَّضت زملائى فأضربنا عن الطعام، ولكن بعد فترة لم يتحملوا الجوع فعادوا إلى تناول الطعام أما أنا فلم أتنازل مطلقا فاضطروا ـ وحسب القانون ـ إلى نقلى إلى مستشفى القصر العينى الجديد لكى أكون تحت العناية الطبية حسبما تقتضى القوانين، هناك أوقفت إضرابى عن الطعام، وبعد فترة قصيرة زارنى فى المستشفى زميلى "حسن عزت" الذى كان قد هرب من معتقل المنيا، وقال : ماذا تفعل هنا ؟ لابد من تدبير خطة لهروبك ،وفعلا دبرنا الخطة، فى ساعة الظهيرة عندما يزدحم المستشفى بالداخلين والخارجين من آلاف الناس جاء "حسن عزت" بعربة (أوستن) صغيرة ووضعها تحت مظلة الأطباء، ولم يوقف المحرك، خرجت أنا إلى فناء المستشفى وخلفى حارسى، وفى زحمة الناس استطعت بسهولة أن أتوارى عنه وبسرعة بلغت العربة التى اختفت بى وبحسن عزت فى لمح البصر، وبعد دقيقتين وصلنا منطقة فُم الخليج حيث الشقة التى كان قد جهزها حسن كمخبأ لى على بعد دقائق قليلة. كان هذا فى أكتوبر سنة ١٩٤٤م كما قلت، وبقيت مختبئا هاربا من وجه العدالة إلى سبتمبر سنة ١٩٤٥م عندما سقطت الأحكام العرفية، فبسقوط الأحكام العرفية انتهى اعتقالى حسب القانون ـ هذه ميزة سيادة القانون التى أحترمها وأدين بها وأطبقها الآن وأنا رئيس لجمهورية مصر.

هذا الكتاب يوثق لحياة زعيم من زعماء مصر الأبطال والذى لقب برجل الحرب والسلام ولقبته أمريكا بداهية (العالم السياسية) نظرا لبعده السياسى القوى.

.. نشأ أنور السادات ونال القسط الأول من التعليم فى قريته صابرا مثابرا على تفهم دروسه بعقل واع وفهم لما يكتبه اليراع .

.. كان رأسه كما عبر حكيم الصين " كونفشيوس " (كالوعاء) يدأب دائما على أن يملأه بالعلم والفهم والإفهام، وواظب على قراءة القرآن الكريم وحفظه بفيض من الله وإلهام.

.. أجاد اللغة الإنجليزية التى سمع أعداء بلاده يتكلمون بها ويرطنون، وبها يتحدثون، أجادها حتى أضحى ضليعا فيها ثم عكف على تعلم غيرها من اللغات، ومنها اللغة الفارسية، اللغة الفرنسية والألمانية

.. كان رجلا على كثرة ما قرأ وما كتب لم يعرف كلمات الكبر، فلاح وابن فلاح، من قرية متواضعة فى أعماق الريف لا يزيد عدد سكانها على الألفى نسمة لم تشهد نور الكهرباء هى وغيرها من قرى مصر إلا بعد إنشاء السد العالى.

.. تذهب إليه فى قريته وهو كثير الحنين إليها فتجده قابعا على الأرض لابسا جلبابا وعباءة، وفى يده مسبحة ويحيط به على هذه الأرض أهله وأبناء بلدته من الفلاحين البسطاء.

.. فإذا تحدثت إليه، تفتحت أمامك موسوعة كاملة، احتشدت فى هذا الفلاح المصرى، الذى يبهرك إذا تكلم معك فى الثقافة العربية، ويزيدك

انبهارا إذا سمعته يتحدث بالفرنسية،أو بالإنجليزية، أو بالألمانية، أو بالفارسية، لا حديث العابر على هذه اللغات، بل حديث المتمكن من آدابها وفلسفاتها وتواريخها.

.. فعندما يتطرق الحديث إلى السياسة والوطنية والدين، راعك منه أنه يؤلف من هذه الموضوعات الثلاثة معنى واحدا، اتخذه دستورا لحياته منذ فجر شبابه.. دستورا علمه كيف يكون ثائرا من أجل هذا المعنى، يقاد إلى المعتقلات واحدا بعد الآخر، ويتعذب فى أعماق السجون، ويقاسى مرارات الطرد والجوع والحرمان، دون أن يهتز له إيمان.

.. هذا هو الثائر الأول، الذى علم رفاقه الثورة، وخاض طريق العذاب منذ سنة ١٩٤٢م.. ثم واصله ليكون صاحب أول صوت يبشر الناس بالثورة سنة ١٩٥٢م.. ثم ظل يواصل الدعوى إلى المصريين ليهيئهم إلى المعركة الكبرى سنة ١٩٧٣م.

.. الثائر لا يزال ثائرا، منذ أن كان ضابطا ناشئا، إلى أن أصبح رئيسا للجمهورية ذلك لأنه ليس رجل مناصب، بل رجل أخلاق.

.. فى عدد أول يوليه سنة ١٩٥٣م، فى مجلة الهلال المصرية كتب هذا الثائر ـ أنور السادات ـ يقول:

" وحينما أعود بذاكرتى إلى الخلف قليلا، أذكر أننى فى سبتمبر عام ١٩٤٧م كنت فى سجن مصر، فى الزنزانة رقم ٥٤، و قد أمضيت أكثر من عام ونصف فى تلك الزنزانة، فما راعنى وأنا جالس فى أمسية

من أمسيات ذلك الشهر، إلا أن أدخل لى كتاب كنت قد طلبته، وإننى لأذكر جيدا أننى من شدة فرحى بهذا الكتاب أخذت أتصفحه، وكانت القراءة هى السعادة الوحيدة لى فى ذلك المكان.

"وقبل أن أصل إلى نهاية الكتاب، وقعت فى يدى ورقة كانت موضوعة فيه بطريقة خاصة. فتناولتها لأقرأ فيها خطابا من جمال عبدالناصر عن الخطة التى أعدتها الجماعة لتهريبى من السجن، وكافة المعلومات الأخرى التى يقتضينى اتباعها.

"وتُركت ساعة التنفيذ إلى وقت آخر"

.. ثم يختتم حديثه بكلمة الله.. الكلمة العليا التى كللت صيحته يوم ١٥ مايو سنة ١٩٧١م بالغلبة على خصومه والتى ستتوج حياته بإذن الله فى المعركة القادمة بالنصر المبين:

((وبالجملة... لقد اشتركت عوامل كثيرة فى إخراج هذه الحركة بقوتها وزهوها، وشدتها وحنوها، وعنفها ورزانتها.

"لقد كانت عوامل ليست من صنع البشر، وإنما هى من تلك الإحساسات السامية التى ترتفع بنفوس البشر فوق ذلك المستوى المادى، تعرف التضحية والصداقة، وتعرف الأخوة، وتعرف فوق كل شىء وقبل كل شىء الإيمان بإله عظيم يريد الخير للعالم، ولا يرضى لنا إلا الحياة الشريفة القوية".

.. كان السادات يحضر مؤتمرا جمع بين البلاد العربية والإسلامية فى المغرب، وكان من بين الحاضرين آنذاك زعماء من هاتيك البلدان ومن

بينهم الإمبراطور "محمد رضا بهلوى"، وكان على صداقة بإسرائيل حتى إن كاتب هذه السطور ـ يذكر أن جريدة "أخبار اليوم المصرية" وقد دأبت حال ظهورها كل أسبوع أن تنشر إطارا معنونا باسم حكمة اليوم فى صدر صفحتها الأولى، وبعد هذا المؤتمر دونت الجريدة فى إطارها كلمة الدكتور "محمود فوزى" رئيس وزراء مصر آنذاك، وقد ساءه ما ذكره إمبراطور إيران من مدح كاله لإسرائيل ورد فيه:

"لقد شاه وجه الشاه، شوهته الخطيئة بعد الخطيئة، وشوهه الإمعان فى الجحود والنكران"

.. وعندما جاء الدور على "أنور السادات" وكان ـ حينذاك ـ سكرتيرا عاما للمؤتمر الإسلامى رد بدوره ـ وقبل كلمة أو حكمة رئيس وزراء مصر السالفة.

.. قال السادات " للشاه " وباللغة الفارسية: التى كان يجيدها.

"إن الذى يأكل من عرق جبينه لا يحتاج إلى منة من أحد"

.. وانتزع السادات تصفيق الحاضرين الذين التهبت أكفهم بإزجاء التحية إليه، والإعجاب بما قال.. بما فيهم شاه إيران نفسه !.

.. وهكذا كان السادات محبا لوطنه مخلصا له لا يقبل من أى أحد مهما كان أن يعتدى عليه قولا أو فعلا.

.. كان يحكم مصر – فى الحقبة التى ذكا فيها عود السادات، وأضحى على مشارف الشباب – ملك مستبد سلطوى "outhorian" يحكم مصر حكما ديكتاتوريا يدأب دائما على أن يظهر لشعب مصر أنه المالك للبلاد

والعباد، يُقبل الكبراء يده، ويُكيلون له النفاق آناء الليل، وأطراف النهار. عدا زعيم مصر الخالد «سعد زغلول» الذى كان يقف له بالمرصاد يحبط كل ما يعن لهذا الملك أن ينال به من استقلال مصر أو حرية المصريين والذى شذ عن جميع زعماء مصر كما ذكر الأستاذ العقاد فى أنه كان يمهر المراسلات بينه وبين الملك فؤاد بعبارة (خادم سيادتكم) بينما كان الجميع يزيلونها بعبارة (خادمكم المطيع).!

.. وفرق شاسع بين هذه العبارة وتلك.

.. فما كان من الإنجليز إلا أن قاموا بنفيه هو ورفاقه مرتين إرضاءً لأنفسهم، ولذلك الملك الذى أتوا به، وعينوه، وعلى دست عرش مصر أجلسوه، ونصبوه

.. مات فؤاد بتاريخ ٢٨ أبريل ١٩٣٦م ونُصب ابنه الملك فاروق على العرش فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧م، بعد أن عاد إلى مصر فى صبيحة يوم الأربعاء ٦مايو ١٩٣٦م وصل الأمير فاروق إلى أرض الوطن قادما من إنجلترا حيث كان يتم تعليمه ليخلف والده على عرش مصر

.. وفى حفل تنصيبه هتف رئيس وزراء مصر قائلا:

«مات الملك يحيا الملك !»

.. بعد عودة فاروق إلى مصر وتولى مجلس الوصاية القيام بوظائفه، طلب الأمير محمد على من أحمد حسنين (بك) إعداد برنامج دراسة للملك فاروق لكى يقوم باستكمال دراسته التى لم يستكملها بالخارج، على أن يوافيه بعدها بتقارير دورية عن انتظام سير هذه الدراسة،

وطلب أحمد حسنين (بك) من حسين باشا حسنى تولى هذه المسئولية، الذى شرع بدوره فى وضع برنامج الدراسة المطلوب بالاشتراك مع أحمد حسنين (بك).

.. وكان السيد (مايلز لامبسون) المندوب السامى البريطانى قد رشح شابًا إنجليزيًّا واسمه مستر (فورد) لتدريس آداب اللغه الإنجليزية، وكذلك لتدريب الأمير الشاب فى بعض الألعاب الرياضية، إلا أن الأمير الشاب لم يكن مرحبا بذلك الرجل الإنجليزى لكونه كان مرشحا من المندوب البريطانى.

.. مات فؤاد عن تركة نهبها من أرض مصر وخيراتها بلغت مساحتها ٤٩ ألف و٣٠٠ فدان خص ابنه فاروق منها بمساحة قدرها ٢٥ ألفا و ٤٠٠ فدان.

.. وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، وطرد فاروق مدحورا مهزوما كانت تركته قد نمت واستفحلت حتى بلغت ٩٦ ألف فدان أملاكا خاصة له يشرف عليها ويديرها بنفسه، غير عابئ إلا بمصلحته الشخصية. حتى إن الجماهير الغاضبة كانت تهتف ضده وبملء عقيرتها أين الغذاء والكساء يا ملك النساء بعد أن بلغ السيل الزبى.

.. كان السادات ينتمى إلى الطبقة الوسطى .

.. ولكن ما هى الطبقة الوسطى Middle Class ؟

.. يرى البعض أن الطبقة الوسطى مصطلح هلامى وفضفاض حيث يفتقر إلى الدقة العلمية.

.. ويرى آخرون أنها تمثل مختلف الشرائح الاجتماعية Strata التى تعيش فى شكل أساسى على المرتبات المكتسبة من الحكومة والقطاع العام، والمهن الحرة الخاصة، ويميز هذه الطبقة أن دخل أفرادها الأساسى ناجم عن العمل الذى يغلب عليه الطابع الذهنى والتقنى (ولهذا يطلق على أفرادها فى بعض الأحايين ذو الياقات البيضاء).

.. ويميل الباحثون إلى تقسيم هذه الطبقة إلى ثلاث شرائح تضم كل شريحة فئات متجانسة بقدر الإمكان وهى الشريحة العليا، والشريحة المتوسطة، والشريحة الدنيا.

.. ويرى العلامة الدكتور «عبد الرزاق السنهورى» فى محاضرة ألقاها أمام الحضور فى جمعية التشريع والاقتصاد عام ١٩٦٨م وكنا نحن حضوراً فيها والدى رحمة الله عليه ـ وكاتب هذه السطور، وهو يؤبن المرحوم «عبد الحميد بدوى باشا» أن الطبقة الوسطى هى التى خرج منها زعماء مصر (أحمد عرابى ـ ومصطفى كامل ـ وسعد زغلول).

.. وقد أردف قائلا: وهى الطبقة التى يوجد فيها الأطباء والمهندسون والضباط والعلماء والموظفون وغيرهم.

.. ومن هنا نستطيع أن نقول – وفق ما ذهب إليه الدكتور السنهورى فى محاضرته تلك – إن السادات كان من الطبقة الوسطى التى تنتمى إلى الشريحة المتوسطة.

عاش أنور السادات عمره من أجل مصر، لم يبخل عليها يوما بلحظة من حياته، ولا قطرة من دمه، وهبها فكره؛ إذ كانت مصر تعيش دومًا فى وجدانه.

ورحلة كفاح الرئيس السادات صورة نابضة بالحب لشعبه و وطنه كما سطرها التاريخ منذ مولده بميت أبو الكوم و تدرجه فى التعليم حتى تخرج ضابطا فى الكلية الحربية و دخوله السجن ودوره البارز فى ثورة يوليو وتقلده العديد من المناصب إلى أن تولى رئاسة الجمهورية ليحقق لبلاده أروع إنجاز فى تاريخها.

.. لقد اشترك «فى دار المعارف» حتى يتسنى له الحصول على ما يجد من كتب تصدرها الدار مما يؤكد ميول السادات الثقافية ويشى بميوله الأدبية..

.. لم يقابل سلوكه هذا رضى من الإنجليز فنقلوه إلى منطقة «الجراولة» التى تقع فى الصحراء الغربية بين السلوم ومرسى مطروح، ومن خلال العزلة التى فرضت عليه تفرغ للقراءة فاتسع وعيه الثقافى مع وعيه السياسى مما أغضب رؤسائه وقادته.

.. وعندما دعا الشيخ حسن البنا ليلقى حديثا إلى جنوده بمناسبة المولد النبوى الشريف تسلل العريف حمدى سيف النصر القائد العام للجيش فى الهزيع الثانى من الليل ليجرى تحقيقات حول ذلك.

.. ويتعرف السادات بالفريق «عزيز المصري» الذى كانت له اليد الطولى والقدح المعلى فى تأجيج الثورة فى قلبه ضد الإنجليز لأن الإنسان بدون فكر أشبه بالسفينة دون دفة قيادة.

.. تأثر السادات فى مطلع حياته بعدد من الشخصيات السياسية والشعبية فى مصر والعالم، وقد ساهم هذا التأثير فى تكوين شخصيته النضالية ورسم معالم

.. وفى عام ١٩٤١م دخل السادات السجن لأول مرة فى أثناء خدمته العسكرية إثر لقاءاته المتكررة بعزيز باشا المصرى الذى طلب من السادات مساعدته للهروب إلى العراق، بعدها طلبت منه المخابرات العسكرية قطع صلته بعزيز المصرى لميوله المحورية، غير أن السادات لم يعبأ بهذا الإنذار مما أدى إلى طرده من الجيش عام ١٩٤٢م ثم إيداعه سجن الأجانب فى فبراير عام ١٩٤٢م.

.. خرج السادات من سجن الأجانب فى وقت كانت فيه عمليات الحرب العالمية الثانية على أشدها، وعلى أمل إخراج الإنجليز من مصر كثف السادات اتصالاته ببعض الضباط الألمان الذين نزلوا مصر خفية، فاكتشف الإنجليز هذه الصلة بين السادات والألمان فدخل المعتقل سجينا للمرة الثانية عام ١٩٤٣م.

استطاع السادات الهرب من المعتقل و رافقه فى رحلة الهروب صديقه حسن عزت وعمل السادات فى أثناء فترة هروبه من السجن عتالاً على سيارة نقل تحت اسم مستعار هو الحاج 'محمد' وفى أواخر عام ١٩٤٤م انتقل إلى بلدة أبو كبير بالشرقية ليعمل فاعلا فى مشروع ترعة رى.

.. وكذا فى عام ١٩٤٥م مع انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م سقطت الأحكام العرفية وبسقوطها عاد السادات إلى بيته بعد ثلاث سنوات من المطاردة والحرمان وتذوق مرارة الهوان.

التقى السادات فى تلك الفترة بالجمعية السرية التى قررت اغتيال «أمين عثمان» وزير المالية فى حكومة الوفد «٤ فبراير ١٩٤٢م –

٨ أكتوبر ١٩٤٤م» ورئيس جمعية الصداقة المصرية البريطانية لتعاطفه الشديد مع الإنجليز، وعلى أثر اغتيال أمين عثمان عاد السادات مرة أخرى وأخيرة إلى السجن وفى الزنزانة '٥٤' فى سجن قرميدان واجه السادات أصعب محن السجن بحبسه انفراديا، بعد اغتيال «أمين عثمان» عقب قولته:

«إن ارتباط مصر بإنجلترا وصداقتهما هو كالزواج الكاثوليكى زواجا مؤبدا فى الشريعة المسيحية»

.. قبض على السادات مع من قبض عليه واتهم بقتل «أمين عثمان» وألقى به مرة أخرى فى غياهب الجب، وأجرى التحقيق معه مرة تلو الأخرى وهو يراوغ محققه، وإذ قدم هو وزملاؤه إلى محكمة الجنايات جعل من المحكمة منبرا لكى يجأر أمامها بنقد النيابة العامة التى قدمته للمحاكمة فى شخص نائبها العام .

وبعد ذلك عمل السادات مراجعا' صحفيا بمجلة المصور حتى ديسمبر ١٩٤٨م.

.. وخلال عام ١٩٤٩م انفصل عن زوجته الأولى و تقدم لخطبة زوجته الثانية جيهان صفوت رؤوف وما بين الخطبة وإتمام زواجه سنة ١٩٤٩م انخرط السادات فى الأعمال الحرة مع صديقه حسن عزت.

.. وفى عام ١٩٥٠م عاد السادات إلى عمله بالجيش بمساعدة زميله القديم الدكتور يوسف رشاد الطبيب الخاص بالملك فاروق.

.. وفى غضون عام ١٩٥١م تكونت الهيئة التأسيسية للتنظيم السرى فى الجيش والذى عرف فيما بعد بتنظيم الضباط الأحرار فانضم السادات

إليها، وتطورت الأحداث فى مصر بسرعة فائقة بين عامى ١٩٥١م – ١٩٥٢م، فألغت حكومة الوفد معاهدة ١٩٣٦م ومن بعدها اندلع حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢م و أقال الملك وزارة النحاس الأخيرة.

.. وفى ربيع عام ١٩٥٢م كانت ثورة ٢٣ يوليو قد اكتمل نموها وذكا عودها وأصبحت بشرا سويا، وفى ٢١ يوليو أرسل جمال عبد الناصر إلى أنور السادات فى مقر وحدته بالعريش يطلب إليه الحضور إلى القاهرة للمساهمة فى ثورة الجيش على الملك والإنجليز.

.. قامت الثورة و أذاع أنور السادات بصوته بيانها ولو فشلت الثورة لكانت رقبة السادات أول رقبة تطير فى الهواء .

.. وفى عام ١٩٥٣م أنشأ مجلس قيادة الثورة جريدة الجمهورية وأسند إلى السادات مهمة رئاسة تحرير هذه الجريدة.

.. وفى عام ١٩٥٤م ومع أول تشكيل وزارى لحكومة الثورة تولى السادات منصب وزير دولة فى سبتمر ١٩٥٤م ثم عين نائبا لرئيس الجمهورية لفترة لا تزيد عن الشهر.

.. وفى عام ١٩٥٧ انتخب عضوا بمجلس الأمة عن دائرة تلا ولمدة ثلاث دورات

.. وفى عام ١٩٦٠م انتخب رئيسا لمجلس الأمة من ٢١–٧–١٩٦٠م إلى ٢٧–٩–١٩٦١م،ورئيسا للأمة للفترة الثانية من ٢٩–٣–١٩٦٤ إلى ١٢–١١–١٩٦٨م.

.. وفى عام ١٩٦١م عين رئيساً لمجلس التضامن الأفرو أسيوى.

.. وقبيل سفر الرئيس جمال عبد الناصر لحضور مؤتمر فى مدينة الرباط بالمغرب عام ١٩٦٩م اختاره الزعيم جمال عبد الناصر نائبا له .

.. وانتقلت روح جمال عبد الناصر إلى بارئها فى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م واختار الشعب المصرى «أنور السادات» رئيسا لجمهورية مصر العربية.

.. استمرت فترة ولاية الرئيس السادات لمصر إحدى عشر عاما، اتخذ السادات خلالها عدة قرارات تاريخية خطيرة هزت العالم وأكدت على صلابة السادات فى مواجهة الأحداث ومرونته الفائقة على تفادى مصر المخاطر الجسيمة، حيث بنى استراتيجية فى اتخاذ القرار على قاعدة أصولية منسوبة إليه وهى «لا يصح إلا الصحيح».

.. وخلال عام ١٩٧١م اتخذ الرئيس السادات قرارا حاسما بالقضاء على مراكز القوى فى مصر وهو ما عرف بثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١م فخلص الإنسان المصرى من قبضة أساطير الاستبداد التى كانت تتحكم فى مصيره، وفى نفس العام أصدر السادات دستورا جديدا لمصر

..عام ١٩٧٢م قام السادات بالاستغناء عن ١٧٠٠٠ خبير روسى فى أسبوع واحد لإعادة الثقة بالنفس لجيش مصر حتى إذا ما كسب المصريون المعركة لا ينسب الفضل إلى غيرهم

.. وفى غضون عام ١٩٧٣م أقدم السادات على اتخاذ أخطر القرارات المصيرية له ولبلاده وهو قرار الحرب ضد إسرائيل، وهى الحرب التى أعد لها السادات منذ اليوم الأول لتوليه الحكم فى أكتوبر ١٩٧٠م فقاد مصر إلى أول انتصار عسكرى فى العصر الحديث.

.. عام ١٩٧٤م قرر السادات رسم معالم جديدة لنهضة مصر بعد الحرب بانفتاحها على العالم فكان قرار الانفتاح الاقتصادى .

.. عام ١٩٧٦م وبعد فترة طويلة من خضوع الإنسان المصرى لسلطة الفرد المطلقة أعاد السادات الحياة إلى الديمقراطية التى بشرت بها ثورة يوليو ولم تتمكن من تطبيقها، فكان قراره بعودة الحياة الحزبية، فظهرت المنابر السياسية ومن رحم هذه التجربة ظهر أول حزب سياسى وهو الحزب الوطنى الديمقراطى كأول مولود حزبى كامل النمو بعد ثورة يوليو ثم توالى من بعده ظهور أحزاب أخرى كحزب الوفد الجديد وحزب التجمع الوحدوى التقدمى وغيرها.

.. عام ١٩٧٧م اتخذ الرئيس قراره الحكيم والشجاع الذى اهتزت له أركان الدنيا بزيارة القدس ليمنح بذلك السلام لشعبه وعدوه فى آن واحد، ويدفع بيده عجلة السلام بين مصر وإسرائيل فى ٢٩ نوفمبر ١٩٧٧م.

.. عام ١٩٧٨م قام السادات برحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل التفاوض لاسترداد الأرض وتحقيق السلام كمطلب شرعى لكل إنسان وخلال هذه الرحلة وقع اتفاقية السلام فى كامب ديفيد برعاية الرئيس الأمريكى «جيمى كارتر».

.. وفى عام ١٩٧٩م وقع الرئيس السادات معاهدة السلام مع إسرائيل.

.. قال «فرجيلوس» ـ أمير الشعر اللاتينى فى الكتاب السابع: إن براعتك هى أن تنشر أسس السلام.

.. وهكذا كانت براعة السادات بعد انتصار جيش مصر العظيم فى حرب أكتوبر.

.. فقد عمل السادات جاهدا على نشر أجنحة السلام بين مصر وإسرائيل مضافا إليه فلسطين والأردن وسوريا بيد أنهم رفضوا الانضمام إلى مائدة السلام .

.. وقد تهكم الأستاذ «Jan Keviteh» أستاذ علم الأخلاق فى جامعة السربون قائلا: إن كل ما يتطلبه سقراط من الناس ليكونوا فضلاء أن يكون لهم أذنان ليسمعان بها ودروسا أو محاضرات فى الفضيلة.

.. فالفلسفة هى : العلم الذى يبحث فى الأسس النظرية التى تدعم مجموعة المعتقدات كل منها فى حياته الخاصة.

.. أما المثالية : كما يقول "Lalande" فى معجمه الفلسفى هى :

"الاتجاه الفلسفى المدنى يرجع كل وجود إلى الفكر بالمعنى الأتم لهذه الكلمة"

.. ويرى "هنرى برجسن «Henri Bergson» (١٨٥٩م ـ ١٩٤١م) أن «الفلاسفة السابقون عليه قد اعتمدوا كل الاعتماد على العقل باعتباره الطريق الوحيد الموصل إلى المعرفة»

.. ويرى «أرسطو» أن الفضيلة هى بين رذيلتين هما الإفراط والتفريط، والإفراط هو طرف الزيادة الذى يجب أن يبعد عنه الرجل الفاضل، أما التفريط هو الطرف الآخر: طرف النقصان أو التقصير الذى

ينبغى كذلك أن يبعد عنه الرجل الفاضل، فالشجاعة وسط بين التهور والجبن، والكرم وسط بين الإسراف والتقتير»

.. ويقدم لنا أفلاطون فى الكتاب السابع من الجمهورية الصورة التالية عن الحياة :

« تصور طائفة من الناس تعيش فى كهف سفلى مستطيل يدخله النور من باب فى طوله، وقد سجن فيه أولئك الأقوام منذ نعومة أظفارهم، السلاسل فى أعناقهم وأرجلهم، فاضطرتهم إلى الجمود والنظر إلى الأمام فقط، لحيلولة الأغلال دون التفاتهم، ثم تصور أن وراءهم نارا ملتهبة، فى موضع أعلى من موقعهم، وأن بينهم وبينها جدارا منخفضا كسياخ المشعوذين الذى ينصبونه لمشاهديه، وتصور أناسا يمشون وراء ذلك الجدار حاملين تماثيل بشرية وحيوانية، مصنوعة من حجارة وأخشاب ضخمة، مع كل الأوانى، مرفوعة فوق الجدار، وفرض أن بعض أولئك المارة يتكلم، وبعضهم صامت، إن هؤلاء السجناء لا يرون شيئا سوى الظلال التى أحدثها اللهب وراءهم، لأنهم مقيدون لايلتفتون، ثم إنهم يحسبون هذه الظلال حقائق، ويظنون أنها تتكلم، ولنفرض أن أحدهم حلت أغلاله فتمكن من الالتفات إلى الوراء، إن عينيه تتألمان من النور ويتحير فى أمره، ويحسب الأشباح التى كان يراها فيما مضى حقائق أكثر من الحقائق التى يراها الآن. ثم إنه يألف العالم الأعلى، ويرى اليقينيات، ويتمكن أخيرا من رؤية الشمس ذاتها. (الجمهورية. الكتاب السابع. ترجمة حنا خباز (١٩٢٩م ـ ص ١٩٣).

.. واضح من هذه اللوحة الرمزية التى رسمها أفلاطون أنه قد رمز إلى الحياة بالكهف، وإلى الإنسان بالسجين أو السجناء، وإلى المعرفة الحسية الزائلة بالظلال التى يحدثها لهب النار المشتعلة فوقهم وهى محجوبة عنهم بالجدار، وإلى الفيلسوف بالسجين الذى استطاع التحرر من أغلاله، وإلى مثال الخير بالشمس التى يراها هذا السجين المتحرر آخر الأمر،وهكذا كان السادات فقد تحرر السجين من سجنه وكافح ونافح حتى اعتلى سدة الحكم وقاد جيش مصر إلى النصر فى معمعة حرب أكتوبر.

.. لم تكن حرب أكتوبر كغيرها من الحروب التى دارت بين مصر وإسرائيل أو بين العرب و إسرائيل.

.. فلم تكن كحرب ١٩٤٨م التى هزم فيها العرب جميعا على يد إسرائيل بمؤامرة عالمية مكشوفة وإمداد دائم بالسلاح لإسرائيل دون العرب.

.. ولم يكن الجيش المصرى كذلك هو الجيش الذى اغتيل غيلة وغدرا فى حرب ١٩٦٧م.

.. فقد خطط السادات لها تخطيطا عبقريا غير مسبوق فى تاريخ الحروب.

.. يقول السادات :

«لقد خططنا للمعركة تخطيطا علميا مدروسا بكل ما تقتضيه الخطة من تفصيلات وواجبات ومهام. كانت خريطة سيناء أمامى بكل معالمها. كل تفصيل على أرض سيناء كان موضوعا فى الاعتبار، وكل قائد وكل مقاتل كان يعرف واجباته، ودرب عليها، واستعد لها استعدادا هائلا.

.. أولادى فى القوات المسلحة كانوا على أعلى درجات التأهب والاستعداد، وكنت فى نفس الوقت أعرفهم من أبناء شعبنا الطيب، أصلاء ورجالا وأبطالا عند الشدة.

.. وكان فى اعتبارنا أيضا فى أثناء التخطيط، أن المعركة ستلهب مشاعر أبناء الأمة العربية جميعهم وستستأثر بكل ما يملكون من الحماسة والطاقات. ولذلك كان من ضمن تخطيطى للمعركة أن تستمر أطول وقت ممكن، وقد التقى معى فى هذا التخطيط المغفور له جلالة الملك فيصل على أساس أن طول المعركة يسمح بتكوين رأى عام يشد من أزرها.

.. وقد كانت كل هذه التفصيلات بالاتفاق أساسا مع الرئيس السورى «حافظ الأسد».

.. ومن هنا جاءت «شهادة» إسرائيل ، والفضل ما شهد به الأعداء.

.. يقول الجنرال الإسرائيلى «ناركيس»، بصدد هذا:

.. « ليس أمامنا مفر من أن نشهد لجهاز التخطيط المصرى بالبراعة!.

.. لقد كانت خططهم دقيقة، وكان تنفيذها أكثر دقة. لقد حاولنا بكل جهدنا إعاقة عملية العبور وردها بالقوة على أعقابها، غير أننا ما كدنا نتمثل ما حدث إلا وكانت نتائجه قد تحققت لهم.

.. كأنما أغمضنا أعيننا، وفتحناها، فإذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة إلى شرقها، ليفاجئونا صباح ٧ أكتوبر بخمس فرق كاملة أمامنا على الضفة الشرقية من القناة».

.. وشهد الجنرال «فارار هوكلى» فى بحث معهد الدراسات الاستراتيجية بلندن حيث قال:

.. «كان التخطيط المصرى لعمليات أكتوبر تخطيطا بارعا ودقيقا، فلقد قامت القيادة المصرية بدراسة نقاط القوة والضعف فى عدوها، وكان السؤال الرئيسى المطلوب الإجابة عنه هو:

(ما نوع العمليات التى تحقق أهداف المعركة، وتسبب لإسرائيل الخسائر المؤلمة؟)».

.. ونجيب ـ نحن ـ على الجنرال سالف الذكر إن ذلك يرجع إلى أن الجيش المصرى قد مزج بين الخطط المحكمة والشجاعة الفائقة والبسالة النادرة الأمر الذى جعله يبهر العالم ويعجز إسرائيل، أو ليست جنوده هم خير أجناد الأرض؟!

.. يصور الروائى العالمى «نجيب محفوظ» موقفه من السادات فى رواية «الباقى من الزمن ساعة»، وفى روايته الأخرى (يوم مقتل الزعيم) رأيه فى عصر السادات بعد أن كان قد أظهر رأيه ذلك فى كتابه (أمام العرش) والذى اختار له عنوانا ثانيا هو (حوار مع رجال مصر من مينا حتى أنور السادات)، وحاكم فيه جمال عبد الناصر.

.. قال محفوظ:

(أما عن موقفى فى عصر السادات، فقد كنت أتعاطف معه حينئذ، لقد اتخذ موقفا – بالفعل – من القومية العربية، غير أن عذره كان داخليا، أى أن ظروفه الداخلية كانت تحول بينه وبين الثبات على الخط العربى.

.. كان يعتقد أن (كامب ديفيد) يمكن أن يعيد بها ما خربته سنوات الحرب فى مصر، وكان يؤمن أن الأمان الذى تحصل عليه مصر يمكن أن يسهم فى استجلاب عصر رخاء جديد.

.. والحقيقة أن السادات كان يعاين بلدا (يغرق) بكل ما فيه من مضاعفات سيئة على اقتصاده القومى، وكان لابد من الاستمرار، فآثر هذه (الهدنة) التى سميت باسم السلام.

❑❑❑